نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٩٦ — ما أكثر العبر وأقل الاعتبار

شرح النهج لابن أبي الحديد :

(ما أكثر العبر وأقل الاعتبار) ما أوجز هذه الكلمة ، وما أعظم فائدتها ! ولا ريب أن العبر كثيرة جدا بل كل شيء في الوجود فيه عبرة ولا ريب في أن المتبرين بها قليلون ، وأن الناس قد غلب عليهم الجهد والهوى ، وأرداهم حب الدنيا ، وأسكرهم خمرها ، وأن اليقين في الأصل ضعيف عندهم ، ولولا ضعفه لكانت أحوالهم غير هذه الأحوال .

٧٩٧ — ما هي لذة الهوى والسلافة

في (نفح الطيب) :

قال الوشاح المحسن أبو الحسن المريني : بينا أنا أشرب مع ندماني بإزاء الرصافة (في قرطبة) إذا إنسان رث الهيئة ، مجفو الطلعة قد جاء فجلس معنا . فقلنا : ما هذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة ! فقال : لا تعجلوا علي ، ثم فكر قليلا ورفع رأسه فأنشدنا :

اسقنيها إزاء قصر الرصافه ... واعتبر في مآل أمر الخلافه
وانظر الأفق كيف يدل أرضا ... كي يطيل اللبيب فيه اعترافه
ويرى أن كل ما هو فيه ... من نعيم وعز أمر سخافه
كل شيء رأيته غير شيء ... ما خلا لذة الهوى والسلافه

قال المريني : فقبلت رأسه ، وقلت له : يا لله من تكون ؟ فقال : قاسم بن عبود الرياحي الذي يزعم الناس أنه موسوس[1]

(١) وسوس فعل لازم فالاسم بكسر الواو الثانية . في اللسان : أبو منصور : إنما قيل موسوس لتحديثه نفسه بالوسوسة . في المصباح : الوسواس : مرض يحدث من غلبة السوداء يخلط معه التجن في التاج : الوسوسة والوشوشة : كلام خفي في اختلاط .

أحمق ، فقلت له : ما هذا شعر أحمق ، وإن العقلاء لتعجز عنه ، فبالله إلا ما تممت مسرتنا بمؤانستك ومنادمتك وإنشاد طرف أشعارك ، فنادم وأنشد وما زلنا معه في طيبة عيش إلى أن ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرا ، ويقول : اللهم غفرا !

٧٩٨ — بين ملك وعالم

قال ياقوت : لما خرج عضد الدولة لقتال عز الدولة بختيار ابن معز الدولة ، دخل عليه أبو علي الفارسي فقال له : ما رأيك في صحبتنا .

فقال له : أنا من رجال الدعاء ، لا في رجال اللقاء ، فخار الله للملك في عزيمته ، وأنجح قصده في نهضته ، وجعل العافية زاده ، والظفر تجاهه والملائكة أنصاره ثم أنشده :

ودعته حيث لا تودعه ... نفسي ولكنها تسير معه
ثم تولى وفي الفؤاد له ... ضيق محل وفي الدموع سعه

فقال له عضد الدولة : بارك الله فيك ، فإني واثق بطاعتك وأتيقن صفاء طويتك . وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس :

قالوا له إذ سار أحبابه ... فبدلوه البعد بالقرب
والله ما شطت نوى ظاعن ... سار من العين إلى القلب

فدعا له أبو علي وقال : أيأذن مولانا في نقل هذين البيتين ، فأذن فاستملاهما منه .

٧٩٩ — لا . . .

كان يعقوب الكندي بخيلا وكان يقول : من شرف البخل أنك تقول للسائل : (لا) ورأسك إلى فوق ، ومن ذل العطاء أنك تقول : (نعم) وأنت برأسك إلى أسفل .

في (الكنز المدفون) : وصف بعض النبلاء بخيلا فقال : هو جلم[1] (أي مقص) من حيث جثته وجدت (لا[2]) .

(١) اسم يقع على الجلمين كما يقال : المقراض والمقراضان (اللسان) ويجوز أن يجعل الجلمان اسما واحدا على فعلان وتجعل النون حرف إعراب ، ويجوز أن يبقيا على بابهما في إعراب المثنى (المصباح)

(٢) ومن قول بعضهم في (لا) :

لا في الكلام تقص أجنحة المنى ... فلذاك يشبه شكلها المقراضا

٨٠٠ — بل أنت كما قال فى هذه القصيدة

قال ابن جنى : حدثنى المتنبى قال : حدثنى فلان الهاشمى من حران بمصر قال : أحدثك بطريفة : كتبت إلى امرأتى بحران كتابا تمثلت فيه ببيتك وهو :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كاس ولا سكن

فأجابتنى عن الكتاب وقالت : ما كنت (والله) كما ذكرت فى هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر فى هذه القصيدة :

سهرت بعد رحيلى وحشة لكم
ثم استمر مريرى وارعوى الوسن[1]

٨٠١ — ما جمعت أنت فى بيت واحد

حدث بعض آل نوبخت قال : جاء النظام يوما فسألنا عن منزل أبى نؤاس فقلنا له : إنه يسكن تلك الغرفة ، وأومأنا إلى غرفة كان ينزلها وكان له غلام أسود وحمار أسود قال : فاستأذن عليه وقال له أنشدنى قولك :

تركت منى قليـــلا من القليـــل أقـلا
يكاد لا يتجـــزا أقل فى اللفظ من لا

فأنشده فقال له النظام : أنت أشعر الناس فى هذا المعنى ، والجزء الذى لا يتجزأ منذ دهرنا الأطول نخوض فيه ما خرج لنا فيه من القول ما جمعته أنت فى بيت واحد .

٨٠٢ — أقول له اسكت

أنشد ابن الجوزى فى بعض مجالس وعظه :

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى
على رياض يكاد الوهم يـــؤلمنى
فى كل معنى لطيف اجتلى قدحا وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام إليه شخص وقصد العبث به فقال : يا مولانا قولك وكل ناطقة فى الكون تطربنى فان كان الناطق حمارا ؟

فقال له الشيخ : أقول له : اسكت يا حمار .

٨٠٣ — لا تقل ذلك فانك أسيرنا

قال بعض الأمراء لجنده : يا كلاب !

فقال أحدهم : لا تقل ذلك فانك أميرنا[1] ...

٨٠٤ — الحق رحمة الله عليه !

كتاب عين الأدب والسياسة ، وزين الحسب والرياسة لعلى ابن هذيل :

إن الحق والباطل اصطحبا فى سفر ، فمشيا إلى الليل ، فلما نزلا قال الباطل للحق : اذهب فأتنا بشىء نفطر عليه . فذهب الحق فلم يجد شيئا من حله فرجع ، فقال له الباطل : ما صنعت ؟ قال ما أجد شيئا حله . فقال الباطل : أجلس حتى آتيك ، فذهب فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء بشىء ، فقال للحق : كل . فقال : ما أراه من حله ولست بآكله . فقال له الباطل : بعمتك لتأتينى بشىء فلم تجد شيئا ، فلما ذهبت أنا وجئت بما نفطر عليه حرمته على ، فنازعه فوثب الباطل على الحق فقتله ثم قال : إن أهل الحق قد علموا أنه خرج معى ، ولا بد لهم أن يطلبونى به ، فعمد إلى حطب فجمعه ثم أضرم عليه النار حتى صار رمادا ثم ذهب وتركه فجاء أهل الحق فقالوا : ما فعل الحق ؟ قال : لا علم لى به ، فقالوا : خرج معك ، فقال : نعم ، ولا أدرى ما فعل . فخرج أهل الحق يطلبونه حتى وقفوا على الموضع الذى أحرقه فيه الباطل ، فقالوا : هذا رماد الحق ، وهذا موضع ناره ، فجمعوا رماده ، وصنعوه مدادا يكتبون به .

فهذا ما بقى من الحق ، فأما الحق بعينه فقد ذهب ...

---

(١) فى شرح الكبرى : المرير جمع مريرة وهى القوة من الحبل واستمر استقام . وفى الأساس : استمر مريره واستمرت مريرته : استحكم وفى التاج : استمر مريره أى استحكم عزمه ، وقال ابن شميل : يقال للرجل إذا استقام أمره بعد فساد : قد استمر ، والعرب تقول : أرجى الظلمات الذى يبدأ بحمق ثم يستمر ، وأنشد للأعشى يخاطب امرأته :

يا خير انى قد جعلت استمر أرفع من بردى ما كنت أجر

(١) فى (خلاصة الأثر) للمحبى : كان بعض الوعاظ يعظ طائفة من الناس فنظر منهم أعرابيا ولنظا فقال : ألا اسمعوا يا بقر ! فقال بعضهم : قل : ياثور ..